من الأسرار البلاغية
أسلوب الأمر في سورة البقرة

دكتـــــورة

آمنة على عثمان

مدرس البلاغة و النقد في الكلية

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

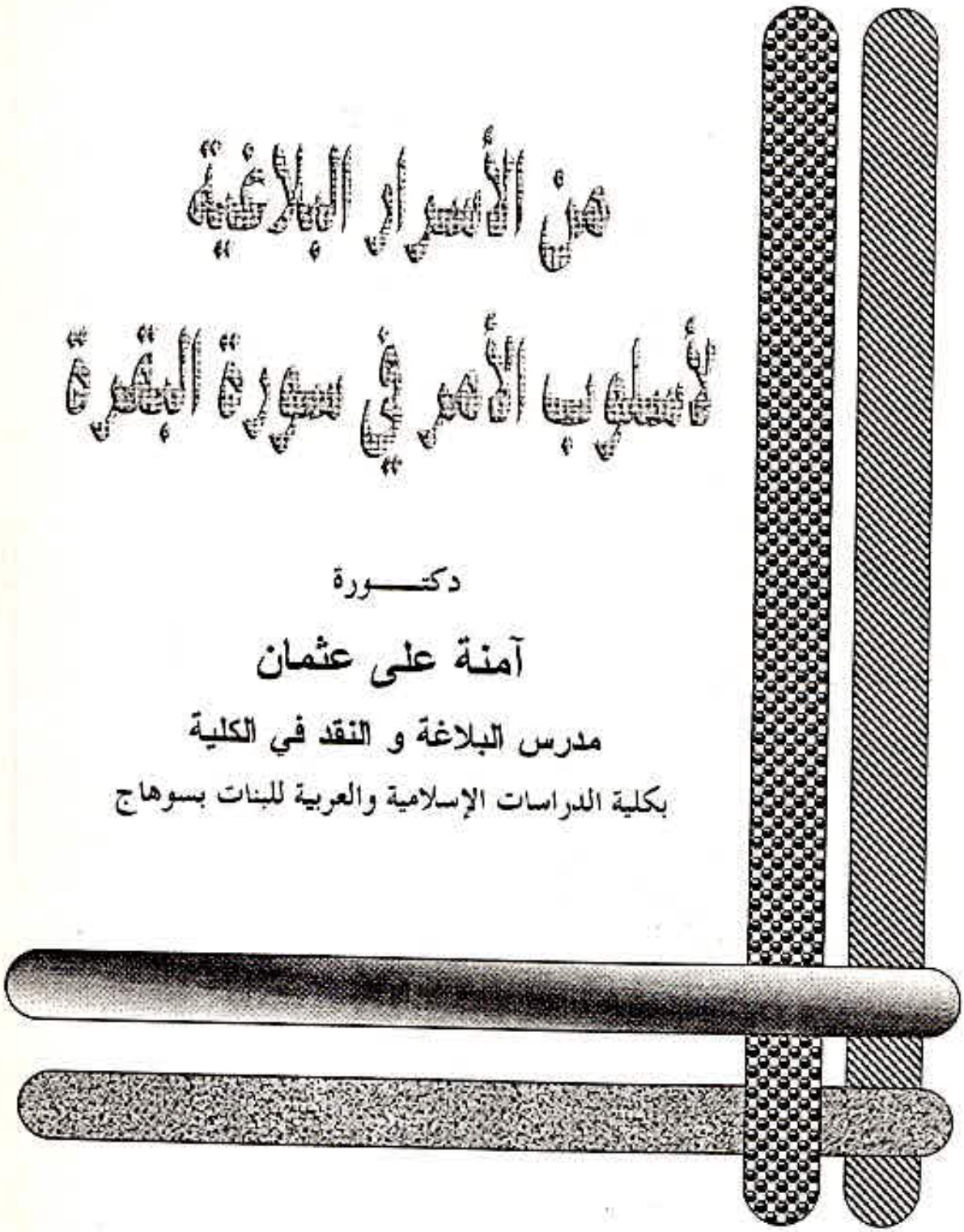

من الأسرار البلاغية لأسلوب الأمر في سورة البقرة

مقدمـــة

الحمـــد لله الـذي ﴿ علـم القـرآن ، خلـق الإنسـان علمـه البيـان ﴾ . [1] و أعطـاه الحكمـة وفصـل الخطـاب و مـا ذاك الفضـل إلا بـالعلم ، و مـا العلـم إلا بيـان و نطـق و كـلام ، فسـبحانه علمنا مـا لـم نكـن نعلـم . و كـان فضـل الله علينـا عظيمـا ، وصـلاة و سـلاماً علـى سـيدنا محمـد ، المنقـذ مـن الضـلال و الطغيـان الداعـي إلـى الهدايـة و الإيمـان ، وعلـى آلـه و أصحابـه و مـن تبعه بإحسان إلـى يـوم الديـن .

..... و بعـد .....

---

(١) سورة الرحمن آيات ٢، ٣، ٤

فتراثنا الإسلامي جدير بالبحث و الاهتمام والحديث عن بلاغة القرآن الكريم حديث شائق و ممتع ، خاصة و أن القرآن الكريم تنزل بلسان عربي مبين ، و قد حظي بدراسات متعددة في محيط البلاغة العربية حيث تشعبت البحوث في استخراج كنوزه ، و استنباط دره .

وكان لي شرف المشاركة في هذه الحركة الدائبة التي لا تنقطع إن شاء الله تعالى . فاخترت هذا الموضوع " من الأسرار البلاغية لأسلوب الأمر في سورة البقرة "

وقد بدأت البحث بتعريف السورة من حيث مدنيتها ، و عدد آياتها و علة تسميتها ، و صلتها بما قبلها ، و الهدف منها ثم تحدثت عن أسلوب الأمر من حيث تعريفه ، و ذكر صيغة الوجوبية و خروج هذه الصيغ إلى معان مجازية تفاد من السياق . و قرائن الأحوال ،

ومدى انطباقها على السورة الكريمة ، و قد شمل هذا البحث عدة معان منها .

الثبات على الفعل ، التعجيز و التكذيب ، شرف المأمور و فخامته ، التكوين و التحقير ، الحث و الزجر ، النصح والإرشاد .....الخ

و خطتي في هذا البحث المتواضع .

منصبة على أسلوب الأمر في حيز هذه السورة الكريمة " البقرة " و بيان مواقعه ومقاماته ، و أسراره البلاغية ، دراسة ترتكز على قاعدة النظم التي تظهر المعنى مستمدا من منابعه في السياق و المقام .

و في سبيل عرض المعاني المجازية للآيات راعيت الترتيب في ذكرها كما هي مذكورة في الكتاب الكريم ، أما ذكر المعنى فقد جعلت له عنواناً رئيساً في وسط الصفحة مسبوقاً برقم حسابي . أو عنواناً فرعياً في

جانب الصفحة عند ذكر المسائل الفرعية لأحد المعاني .

هذا من الناحية الشكلية ، أما الناحية الموضوعية ، فهي قبل أن أتطرق إلى علاج المعني المجازي للآية أو الأسلوب أشير إشارة سريعة إلى المقام و السياق الذي ورد فيه ، و كيف يحتاج هذا السياق إلى الأسلوب كسلاح في الخطاب وأداة في الكشف عن جوهر المعنى .

ثم وجهت عنايتي لذكر آراء المفسرين في المعنى الذي خرج إليه التركيب و حجة كل منهم ، و كذلك البلاغيين إن وجد مع مراعاة الترتيب التاريخي لهما ، كاشفةً عن جانب التأثير والتأثر في كل آية ، موازنة بين النصوص .

و قد استعنت في علاج هذا الأسلوب بالأصول من كتب التراث مثل الكشاف للزمخشري ، البحر المحيط لأبي حيان . جامع البيان للطبري ، روح المعاني للألوسي . و غيرهم وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذا البحث الذي لم أدخر فيه جهداً.

و الله الموفق

الباحثة

د/ آمنة على عثمان موسى

مدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

" نبذة مختصرة عن هذه السورة "

يقول : "الآلوسي " (٢)

هذا هو السم المشهور لها " البقرة " وكان خالد بن معدان يسميها فسطاط القرآن ، و ذلك لعظمتها و لما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها حتى قال بعض الأشياخإن فيها ألف أمر و ألف نهي ، و ألف خبر، و فيها خمسة عشر مثلاً .

وسميت أيضاً بسنام القرآن ، و سنام كل شيء أعلاه . و هي مدنية و آياتها مائتان وسبع و ثمانون على المشهور .

وقيل ست وثمانون ، وفيها أخر آيه نزلت وهي قوله تعالي . " واتقوا يوماً ترجعون

---

(٢) روح المعاني جـ ١ ١٠١ ، بتصرف .

فيه إلى الله " [٣] و قد نزلت في حجة الوداع يوم النحر و لا تخرج بذلك عن كونها مدنية .

" صلتها بما قبلها "

القارئ لسورتي " الفاتحة و البقرة " يجد بينهما صلة وثيقة ، و علاقة وطيدة ، حيث إن سورة الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولاً و العبودية ثانياً ، و طلب الهداية في المقاصد الدينية ، و المطالب اليقينية ثالثاً ، و كذا سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الرب أولاً كما في قوله " يؤمنون بالغيب " و على العبادات وما يتعلق بها ثانياً و على طلب ما يحتاج إليه في العاجل و الآجل أخرا.

و أيضاً في آخر الفاتحة طلب الهداية . وفي أول البقرة إيماء إلى ذلك بقوله " هدى للمتقين " .

---

(٣) سورة البقرة آية ٢٨١

والهدف من هذه السورة الكريمة :

أنها تتحدث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل ، وتبين ما وقع من جرائمهم إزاء رسلهم و تصديقهم للدعوة الإسلامية .

" صيغة الأمر "

صيغة الأمر و تحديد دلالتها ، شغلت الدارسين في كثير من المجالات و خاصة الفقهاء و الأصوليين لاتصال الصيغة بالوجوب و الندب و ما إلى ذلك من الأحكام الفقهية التي توجب الحذر في الدراسة و الاستنتاج .

فلابد من تأمل السياق لأنه هو الذي تستمد منه هذه الصيغة الإنشائية دلالتها ، فقد ترى التركيب يجري في سياقين و يفيض بمعنيين مختلفين ، و أكثر ما تزدهر فيه هذه المعاني ، و تلك الأغراض كتب التفسير ، والأمر الذي دفعهم إلى إضافة معاني أخرى

وقفـــوا عليـــها و هـــم يحللـــون النظـــم القرآنـــي البديـــع . كذلـــك كـــان مـــن أهـــم الحقـــول التـــي وردت فيها تلك الصيغـــة تـــراث قدامـــى البلاغيـــن .

والأمر في اصطـــلاح البلاغييـــن هـــو :-

" طلـــب حصـــول شـــيء علـــى وجـــه الإلـــزام والاستعلاء غـــير حـــاصل وقـــت الطلـــب " (٤)

و يقصـــد بالاســـتعلاء : أن ينظـــر الأمـــر لنفســـه علـــى انـــه أعلـــى منزلـــة ممـــن يخاطبـــه أو يوجـــه الأمـــر إليـــه ســـواء أكـــان أعلـــى منزلـــة منـــه فـــي الواقـــع أم لا و للأمـــر أربـــع صيـــغ وجوبيـــه تنوب كـــل منـــها منـــاب الأخـــرى فـــي طلـــب أي فعـــل مـــن الأفعـــال علـــى وجـــه الاســـتعلاء و الإلـــزام ، وهي ، فعـــل الأمـــر فـــي قولـــه تعـــالى : " و أقيمـــوا الصـــلاة و آتـــو الزكـــاة . و اركعـــوا مـــع الراكعيـــن " س البقـــرة ي (٤٣).

---

(٤) المطول للسعد التفتزاني ٣٣٩ ، مطبعة أحمد كامل

١- المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر كقوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون 'إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" س آل عمران ي (١٠٤)

٢-اسم فعل الأمر كقوله تعالى : " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " س الطارق ي (١٧) .

١- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : " فسحقاً لأصحاب السعير " س الملك ي (١١). [٥]

ولكن قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي، و تلك الصيغ الوجوبية إلى معان أخرى بلاغية، تستفاد من التركيب عن طريق

---

[٥] البلاغة أسسها وعلومها وفنونها -تأليف عبد الرحمن حسن الميداني - الجزء الأول ٢٣٠:٢٨٨- دار القلم .

التصريح أو التلميح بما توحي إليه هذه الألفاظ، و دقة اختيارها .

ومن ثم فإن البلاغيين قد جوزوا أن يحمل التركيب معاني بلاغية متعددة ، منها ما تشير إليه تلك الألفاظ ، و منها ما تقف عليه من خلال التذوق لدقة الألفاظ و العلاقات الأسلوبية .

هذا . وقد تطرق البلاغيون و المفسرون إلى الحديث عن أغراض الآيات المجازية في تلك السورة الكريمة " البقرة " و مع تباينهم في طريقة البحث ، و علاج المعنى . و تتجلى هذه المعاني على حسب وجودها في السورة الكريمة فيما يأتي

(الثبات على فعل و المواظبة على وقوعه)

قال تعالى : " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٦)

في هذه الآية الكريمة نداء إلى جميع الفرق التي تقدم ذكرها في أول السورة من المتقين والكافرين والمنافقين إلى عبادة الله وتوحيده ، لما له من دلائل تستوجب العبادة ، فقد يجوز عدم تنبيه الكافر والمنافق لها فيؤمر بها على وجه الإلزام ، بينما المتقون يعلمون ذلك .

لذا . فالأمر هنا في قوله : " اعبدوا " لم يقصد منه وقوع أصل الفعل . وهو العبادة لأنهم عابدون فالفعل واقع منهم ، وإنما خرج الأمر إلى طلب الزيادة من وقوع هذا العمل ،

---

(٦) سورة البقرة آية ٢١٢

والحرص عليه ليزداد المؤمنين إيماناً بالمواظبة عليه، وفي ذلك يقول الزمخشري : " فإن قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين و الكافرين جميعاً أو إلى الكفار خاصة . و على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم ، فكيف أمروا بما هم ملتبسون به ؟ و هل هو إلا قول القائل : فلو أني فعلت كنت من تسأله و هو قائم أن يقوما ، أما الكفار فهم لا يعرفون الله و لا يقرون به ، فكيف يعبدونه ؟ قلت المراد بعبادة المؤمن ازديادهم منها وإقبالهم عليها و أما عبادة الكفار ، فمشروط فيها ما لابد منه وهو الإقرار .

كما يشرط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرها و ما لابد للفعل منه مندرج تحت الأمر به " (٧)

---

(٧) الكشاف جـ ١ /٤٤

ومن هنا يقال : أن الأمر " اعبدوا " لا يقصد به حقيقته وإنما يؤمر به على سبيل المضاعفة من الحدث نفسه ، حيث أن السياق العام في أول السورة يدل على أنهم قد عبدوا الله بإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم للصلاة ، وإنفاقهم مما يرزقون .

قال تعالى : " فاذكروني أذكركم واشكروا لي و لا تكفرون " (٨)

نزلت هذه الآية الكريمة عقب الحديث عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام في مكة ، و ما كان من حكمتها من الكشف عن المؤمنين و الكافرين و المنافقين ، في هذا الحدث الديني العظيم ، فبعد أن وجه الله الدعوة إلى المؤمنين و على رأسهم الرسول عليه الصلاة و السلام إلى التوجه إلى المسجد الحرام

---

(٨) سورة البقرة آيه ١٥٢

وجه لهم خطاباً بقوله : " فاذكروني أذكركم واشكروا لي ... " يقول الألوسي :

" قوله : " واشكروا لي " أمر بالثبات على الفعل ، و قدم الذكر على الشكر ، لأن في الذكر اشتغالاً بذاته تعالى ، و في الشكر اشتغالاً بنعمته و الاشتغال بذاته تعالى أولى من الاشتغال بنعمته " . (٩)

فالأمر هنا ، لا يقصد به حقيقة وقوعه من ذكر الله وشكره ، فهم ذاكرون شاكرون قبل تحويل القبلة أيضاً وبعدها، وإنما هو مستعمل لإفادة معنى الثبوت على ذكر الله و الزيادة من الشكر ، لتثبيت إيمانهم و تحريك نشاطهم في وقوع هذا الفعل .

---

(٩) روح المعاني جـ ١ ص ٤١٧

٣- قال تعالى " ..... وتزودوا فإن خير الزاد التقوى و اتقوا يا أولي اللباب " . (١٠)

يوجه سبحانه في هذا النص الكريم عباده المؤمنين إلى الحرص على تقواهم فيقول : " واتقون يا أولي الألباب " و إذا علمنا أن الأمر بالفعل موجه إلى المتقين المؤمنين و أن من كان صفته كذلك كان متقياً ، و علمنا أن الأمر بالفعل إنما يراد به الزيادة على درجة التي يفعلونها ، و الثبات عليه و الحرص على وقوعه يقول البيضاوي : " المراد من الفعل هنا هو الحرص و الحث على وقوعه دوماً ". (١١)

و يعقب على هذا المعنى الألوسي قائلاً : " حثهم على التقوى بعد قوله : " خير الزاد التقوى " بمعنى أخلصوا إلى التقوى فإن مقتضى العقل الخالص عن الشوائب ذلك ،

---

(١٠) سورة البقرة آيه ١٩٧

(١١) عناية القاضى وكفاية الراضى " حاشية على تفسير البيضاوى جـ ٢ ص ٢٩٠ ، دار صادر بيروت

وليس فيه على هذا شائبة تكرار مع سابقه . لأنه حث على الإخلاص بعد الحث على التقوى" . (١٢)

خلاصة ذلك ، أن الأمر خرج عن حقيقته إلى معنى مجازي . هو الزيادة من الفعل ، والثبوت عليه .

إذ الخطاب من للمؤمنين الواقع منهم أصل الفعل و هو التقوى .

التعجيز و التبكيت

١- قال تعالى : " و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شركائكم من دون الله إن كنتم صادقين " (١٣)

---

(١٢) روح المعاني جـ ١ ٤٨٢ " بتصرف "

(١٣) سورة البقرة آية ٢٣

في هذه الآيـــة الكريمـــة خـــرج أســـلوب الأمـــر إلـــى " التعجـــيز " .

فنحـــن نعلـــم مـــا كـــان مـــن شـــأن كفـــار مكـــة وقت نـــزول القـــرآن ، كيـــف عـــابوا طريقـــة نزولـــه وقـــالوا : إنـــه أســـاطير الأوليـــن و أن محمـــداً تقولـــه مـــن تلقـــاء نفســـه فتحداهـــم ســـبحانه بقولـــه : " فأتوا بســـورة مـــن مثلـــه " .

لا يقصـــد الأمـــر علـــى حقيقتـــه و هـــو أن يـــأتي العـــرب بســـورة مـــن القـــرآن و إنمـــا خـــرج إلـــى معنـــى مجـــازي " التعجـــيز " أي تعجـــز قريـــش وأربـــاب فصاحتـــها أن تطـــرق أقـــل بـــاب و أصغـــر في القـــرآن الكريـــم ، و فـــي ذلـــك يقـــول الزمخشـــري : " هذا تعجـــيز لـــهم و بيـــان لانقطاعـــهم وانخذالـــهم

وأن الحجـــة قـــد بهرتـــهم و لـــم تبـــق لـــهم متشـــبثاً غـــير قولـــهم ، الله يشـــهد إنّـــا لصـــادقون ،

و قولهم : هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز و سقوط القدرة . " (١٤)

و قيل أيضاً : " أمره تعالى بالمعارضة لدعاء الأنصار والأعوان مع علمه أنهم لا يقدرون على ذلك ،

أمر تهكم و تعجيز ، و قد بين تعالى بعد ذلك أن هذا لا يقع منهم بألسنتهم لأنها جماد لا تنطق ، فالأمر بأن يستعينوا بما لا ينطق في معارضة المعجز ، غاية التهكم بهم " (١٥)

ومما سبق اتضح أن الأمر بمعونة السياق و إشاراته قد خرج إلى معنى " التعجيز " عن وقوع الفعل ، ليس هذا فقط و إنما له معان أخرى تستنبط من لفظ " شهدائكم " فقد قيل : " إن كان المراد من الشهداء الأصنام كان

---

(١٤) الكشاف جـ ١ ٤٨ ، ٤٩ دار المعرفة ، بيروت لبنان

(١٥) البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ١٠٤ مكتبة ومطابع النصر الحديثه

الأمـــــر فـــي قولـــه : " و ادعـــوا " للتـــهكم ، وإن كـــان المـــراد بـــهم الرؤســـاء كـــان الأمـــر للاســـتدراج و إرخـــاء العنـــان ، و إن أريـــد بـــه النـــاس العـــدول كـــان الإظـــهار للتبكيـــت ، و إن أريـــد بـــه النـــاصر والمســـتنصر بـــه مـــن دون الله كـــان الأمـــر للتحـــدي والتعجـــيز " . (١٦)

فهذه أربعـــة معـــان لأمـــر غـــير معنـــاه الحقيقـــي هـــي ، التـــهكم ، الاســـتدراج ، التبكيـــت ، التعجـــيز .

و إذا اقـــتربت مـــن نهايـــة الســـياق تـــراه أيضـــاً يـــدل علـــى معنـــى " التكذيـــب " حيـــث قـــال ســـبحانه : " إن كنتم صـــادقين " فـــهو يـــدل علـــى انـــهم كـــاذبون إذ مـــن يدعـــي القـــدرة علـــى فعـــل شـــيء ثـــم يعجـــز كما دلت عليـــه جملـــه . " فـــأتوا بســـورة مـــن مثلـــه " عن تحقيق ما زعـــم يكـــون كاذبـــاً .

---

(١٦) لطائف المعاني في ضوء النظم القرآني ، ط الأولى سنة ٦٣ ، ٦٤ د / عبد الله هنداوي ـ مطبعة الأمانة

٢- قال تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " .

قوله أنبئوني أمر لا يقصد به حقيقته وهي إلزامهم بأن يخبروه بأسماء الخلائق كلها ، و إنما المراد من الأمر تعجيز الملائكة عن وقوع هذا الفعل و هو الإنباء بأسماء الخلائق أي إنكم لا تقدروا على تحقيق هذا الفعل فأنتم عاجزون ، و السياق المتأخر يدل على تقوية معنى التعجيز عن الإتيان بالفعل وهو قوله " إن كنتم صادقين "

يقول " القاضي عبد الجبار " . (١٧)

" هذا . وقد علمنا أنه ليس بتكليف و لا أمر ، بل هو تقريع و تقرير ، و ذلك أنه تعالى بيّن أنه خص آدم عليه السلام بأن علمه

---

(١٧) متشابه القرآن لعبد الجبار ، ق زرزور ٨١ ، ٨٢

الأسماء ليكون معجزاً له ، فأراد أن يبين للملائكة أن هذا الاختصاص مما يوجب نبوته فقررهم بقوله : " أنبئوني " الآية . ثم قال "وصيغة الأمر ترد و لا تكون أمرا بل تكون تهديداً ، و تقديراً ، و تقريعاً ، و إباحة ، ويعلم حاله بما يتقدم من الكلام و يتأخر و قد بينا أن صدر الكلام يدل على أنه تقريع و ليس بأمر ، و قوله تعالى " قال يا آدم ..... " يدل جميعه على أن الغرض الأول هو التقرير ، لأنه لو كان تكليفاً لكان لا يتغير حاله بأن يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء و لم يكن لقوله تعالى عند ذلك : " إني أعلم غيب السماوات و الأرض " معنى " .

أرأيت كيف استفاد القاضي من صدر الكلام و عجزه في دلالة الأمر على التعجيز، وتأمل في كيفية تولد المعنى كما تراه في وقوفه عند قوله : " وعلم آدم الأسماء كلها "

وقولـه : " إنـي أعلـم غيـب السماوات والأرض " ، و قـال الآلوسـي " قولـه : " فقـال أنبئوني بأسـماء هـؤلاء " تعجـيز لـهم و ليـس مـن التكليـف بمـا لا يطـاق علـى مـا وهـم ، و فيـه إشـارة إلـى أن أمـر الخلافـة و التصـرف و التدبـير وإقامـة المعدلـة بغـير وقـوف علـى مراتـب الاسـتعدادات و مقـادير الحقـوق ممـا لا يكـاد يمكن، فكيـف يـروم الخـلافة مـن لا يعـرف ذلـك أو من لا يعـرف الألفـاظ أنفسـها ؟ هيـهات .

وعنـدي أن المـراد إظـهار عجزهـم وقصورهـم و قصـور اسـتعدادهم عـن رتبـة الخلافـة الجامعـة للظـاهر و البـاطن بـأمرهم بالإنبـاء بتلـك الأسـماء علـى الوجـه الـذي أريـد منـها ، و العـاجز عـن نفـس الإنبـاء أعجـز عـن التحلـي المطـلوب فـي ذلـك المـنصب المحبـوب " . (١٨)

---

(١٨) أنظر روح المعاني للآلوسي جـ ١ ٢٢٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

خلاصة ذلك يقال :

إن الأمر هنا لا يقصد به وقوع الفعل لعدم قدرة الملائكة على الإتيان و إنما خرج إلى معنى " التعجيز و التبكيت " .

٣- قال تعالى : " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " . (١٩)

وردت هذه الآيات الكريمة في مقام الرد على بني إسرائيل ، حيث زعم اليهود أن الجنة مقصورة عليهم دون غيرهم من الناس فقالوا : " لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى " وقد استوجب الرد عليهم بهذه الآية المذكورة ، والأمر المذكور في قوله " فتمنوا "

لا يقصد به حقيقته و هو إلزامهم بالتمني لذلك . إذ لا يتمنى ذلك أحد من الناس ،

---

(١٩)سورة البقرة آية ٩٤

وإنما خرج إلى معنى التكذيب والتحدي فهم كاذبون فيما قالوا ، فلو كانوا صادقين لتمنوا الموت .

و قد وقف المفسرون عند هذا المعنى " التكذيب " ، حيث قال أبو حيان : " قوله " إن كنتم صادقين " في دعواكم فإن الجنة لن

يدخلها غيركم و جواب الشرط محذوف أي فتمنوا الموت ، وعلق تمنيهم على شرط مفقود و هو كونهم صادقين و ليسوا بصادقين في أن الجنة خالصة لهم من دون الناس فلا يقع التمني ، و المقصود من ذلك التحدي وإظهار كذبهم ، ذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها و أن يخلص من المقام في دار الأكدار . وأن يصل إلى دار القرار (٢٠)

---

(٢٠) البحر المحيط جـ ١ ص ٣١٠

من هنا ندرك أن توجيه الخطاب بالفعل "فتمنوا " إلى اليهود لا يقصد به وقوع الفعل ، و إنما المراد منه تحدي اليهود فيما زعموا ، وتكذيبهم فيما اعتقدوا ، و تعجيزهم عن أن يقدروا على تحقيق ما يزعمون .

٤-قال تعالى :" و قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " (٢١)

في هذا النص الكريم توبيخ أخر لليهود و النصارى على زعمهم الباطل في أن الجنة لن يدخلها إلا من كان على ديانتهم ، الأمر الذي يستوجب تنفيذ ما زعموا و دحض مفترياتهم . و هذا ما يريده سبحانه بقوله : " قل هاتوا برهانكم ....." أي قل لهم يا محمد أقيموا شاهداً أو حجة على زعمكم ، و هذا الأمر لا يقصد به وقوع الفعل على سبيل الإلزام

---

(٢١)سورة البقرة آية ١١١

و هو "الإتيان بالبرهان " و إنما خرج إلى معنى التكذيب و التقريع و التبكيت على مدعاهم ومفترياتهم . وقد اتفق المفسرون على دلالة الأمر لهذا المعنى حيث يقول " الطبري " (٢٢)

" هذا الكلام و إن كان ظاهره ظاهر دعاء الكافرين " لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى " إلى إحضار حجة على دعواهم ، ما ادعوا من ذلك ، فإنه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم و قيلهم ، لأنهم لم يكونوا قادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً ، وقد أبان قوله :" بلى من أسلم وجهه لله و هو محسن " عن أن الذي ذكرنا من الكلام بمعنى التكذيب لليهود و النصارى في دعواهم ، و ما ذكر الله عنهم "

ووافق هذا المعنى أبو السعود أيضاً فقال :" و الذي يستدعيه إعجاز التنزيل أن يحمل

---

(٢٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ٥٠٩ جـ٢ ، ق محمود شاكر ، الطبعة الثانية

الأمـــر التبكيتـــي علـــى طلـــب البرهـــان علـــى أصـــــل الدخول الـــــذي يتضمـــن معنـــى الاختصـــاص.[٢٣]

ومـــن ثـــم ، كـــان الأمـــر هنـــا مفيـــداً لمعنـــى التعجـــيز و التبكيـــت لليـــهود فـــي زعمـــهم بالبـــاطل في أن الجنـــة لـــن يدخلـــها إلا مـــن كـــان علـــى ديـــن اليهوديـــة أو النصرانيـــة .

٢- قـــال تعـــالى : " ألـــم تـــر إلـــى الـــذي حـــاج إبراهيـــم فـــي ربـــه أن أتـــاه الله المـــلك إذ قـــال إبراهيـــم ربـــي الـــذي يحيـــي و يميت قال أنـــا أحيـــي وأميـــت قـــال إبراهيـــم فـــإن الله يأتي بالشـــمس مـــن المشـــرق فـــأت بـــها مـــن المغـــرب فبـــهت الـــذي كفـــر والله لا يـــهدي القـــوم الظـــالمين " [٢٤]

---

(٢٣) إرشاد العقل السليم جـ ١ ص ١٤٧ . ق عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة

(٢٤) من البقرة آية ١١٢

هـذا النـص الكريـم يصـور لنـا موقفـاً ومشـهداً بارعـاً و حـواراً عنيفـاً بيـن قـوة الحـق وخزيـان البـاطل ، فـهذا الطاغيـة عندمـا ادعـى الألوهيـة دعـاه إبراهيـم عليـه السـلام إلـى تجنـب زعمـه البـاطل ، و عبـادة الله الحـق لأنـه الـذي يحيـي و يميـت ، فمـا كـان رد الطاغيـة إلا أن قـال " انـا أحيـي و أميـت " فأجابـه إبراهيـم بمـا أقـهره و هزمـه ، حيـث سـاق لـه حجتـه السـامية قـائلاً " فإن الله يأتي بالشـمس مـن المشـرق فـأت بـها مـن المغـرب " أي إن كنـت تزعـم القـدرة الإلهيـة علـى الإحيـاء و الممـات ، فمـن بـاب أولـى أن تـأتي بالشـمس مـن المغـرب هـذا الخطـاب الصـادر مـن إبراهيـم لعـدو الله لا يقصـد بـه وقـوع الفعـل علـى سـبيل الإلـزام ، إذ ليـس فـي مقـدور أحـد أن يـأتي بالشمس مـن المغـرب و إنمـا المـراد منـه الخـروج إلـى معنـى مجـازي "التكذيـب " و يتولـد عـن هـذا المعنى فائدة أخـرى هـي تقريـع هـذا الطاغيـة علـى افترائـه الكـذب و ادعائـه مـا ليـس فـي قدرتـه ،

ومشـــاركته لله فيمـــا لا يشـــاركه فيـــه مخلـــوق قـــط . وفـــي الســـياق مـــا يقـــوي هـــذا المعنـــى و و قولـــه "فبـــهت الـــذي كفـــر " أي عجـــز لســـانه عـــن الحديـــث عندما قرعـــه ســـيدنا إبراهيـــم بـــهذه الحجـــة الدامغـــة، وفي هـــذا مـــا فيـــه مـــن التـــهكم و الســـخرية بضعـــف وانـــهزام ملكـــه الـــذي يزعمـــة يقـــول الزمخشـــري : " أنـــا أحيـــي و أميـــت " يريـــد أعفـــو عـــن القتـــل و أقتـــل و كـــان الاعـــتراض عنيـــداً ولكـــن إبراهيـــم لمـــا سمع جوابه الأحمـــق لـــم يحاجـــه فيـــه و لكنـــه انتقـــل إلـــى مـــا لا يقـــدر فيـــه علـــى نحـــو ذلـــك الجـــواب ، ليبهتـــه أول شـــيء " . (٢٥)

" شـــرف المـــأمور و فخامتـــه

قـــال تعـــالى :" و بشـــر الذيـــن آمنـــوا و عملـــوا الصالحـــات أن لـــهم جنـــات تجـــري مـــن تحتـــها

---

(٢٥) الكشاف جـ ١ ص ٥٦

الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل " (٢٦)

يبين سبحانه في هذه الآية الكريمة عظمة جزاء المؤمنين الصالحين في الآخرة من جنات و ثمرات طيبة وأزواجاً مطهرة . وقد صاغ سبحانه تعالى هذا المعنى الجميل عن طريق الأمر بالثواب و التبشير به قائلاً " وبشر الذين آمنوا " و هذا الخطاب لم يوجه إلى مأمور معين من البشر ، إنما يخاطب به كل من يصلح أن يقع منه التبشير .

و نلاحظ هذا المعنى من خلال كلام الآلوسي حيث يقول :" قوله " وبشر " فيه تبشير للمؤمنين و المأمور بالتبشير البشير النذير صلى الله تعالى عليه و سلم ، و قيل : كل من يأتي منه ذلك و لم يخاطب المؤمنون كما خوطب الكفرة بقوله " فبشرهم بعذاب أليم "

---

(٢٦)سورة البقرة آية ٢٥

و ذلك تفخيماً لشأنهم ، و إيذاناً تاماً بأنهم أحقاء بأن يبشروا و يهنئوا بما أعد لهم .

و قيل : تغيير للأسلوب لتخيل كمال التباين بين حال الفريقين " (٢٧)

نخلص من ذلك إلى : أن فائدة شمولية الخطاب دليل قاطع على شرف المأمور به وفخامته ، و عظمته .

التكوين و التحقير - التسخير

قال تعالى :" و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " (٢٨)

هذا النص الكريم يبين إحدى جرائم بني إسرائيل السابقين .

---

(٢٧) روح المعاني جـ ١ ص ٢٠٣ " بتصرف " الآية من سورة آل عمران

(٢٨)سورة البقرة آية ٦٥

و هو إنه سبحانه و تعالى قد حذر بني إسرائيل من اصطياد الحيتان يوم السبت فاحتالوا على ذلك مخالفين أمر الله فكانوا يحفرون الآبار لتقع فيها الحيتان يوم السبت فيصطادونها صبيحة يوم الأحد ، فكان عقاب الله لهم بقوله :" كونوا قردة خاسئين " فخرج الأمر هنا إلى معنى مجازي هو سرعة التكوين و التسخير .

حيث يقول الرازي :" قوله تعالى " كونوا قردة خاسئين " ليس بأمر لأنهم ما كانوا قادرين على أن يقبلوا أنفسهم على صورة القردة ، بل المراد منه سرعة التكوين كقوله تعالى : " إنما أمرنا بشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " . وكقوله تعالى :" قالتا أتينا طائعين " . (٢٩)

---

(٢٩) سومفاتيح الغيب " التفسير الكبير " جـ ٢ ص ١١٨ ط الأولى ، دار الفكر العربى ، بيروت لبنان

ووافق أبو السعود في ذلك قائلاً : " المراد بالأمر بيان سرعة التكوين و أنهم صاروا كذلك كما أراد الله عز وجل . (٣٠)

أما الطبري فقال :" قوله " كونوا قردة خاسئين " صيروا كذلك .، و الخاسئ (المبعد المطرود) فكذلك معنى قوله " كونوا قردة خاسئين " أي مبعدين من الخير أذلاء صغراء . "

و أشار الزمخشري أيضاً إلى هذا المعنى " أي كونوا جامعين بين الفردية والخسؤ وهو أيضاً الصغار والطرد " (٣١)

و ذهب إلى هذا المعنى أيضاً بعض علماء البلاغة ومنهم "السيوطي " (٣٢)

---

(٣٠) إرشاد العقل السليم جـ ١ ص ١١٠

(٣١) الكشاف جـ ص ٧٣

خلاصة ذلـــك :

أن النظـم و الســـياق العـــام لذلـــك النـــص الكريـم يؤيـدان هـذه المعـاني فـالأمر "كونـوا" يـدل علـى السـرعة فـي التكويـن أي فـي التصيـير إلـى قـــردة ، و كذلـــك يـــدل علـــى معنـــى التـــحقير والتســخير ، إذ كيـف يحـول البشـر إلـى نـــوع مـــن الحيوانـــات و لا يكـــون مســـخراً ، فتحويلهم هـذا يـترتب عليـه صغـارهم و تحقـيرهم

١- قـال تعـالى :" ألـــم تـــر إلـــى الذيـن خرجـوا مـن ديـارهم وهـم ألـوف حـــذر المـوت فقـال لـهم الله موتـوا ثـم أحيـاهم إن الله لذو فضـــل علـــى النـــاس ..... (٣٣)

هـذه الآيـة تحكـي عـن قـــوم مـــن بنـــي إسـرائيل دعـاهم ملكـهم إلـى الجـــهاد فـــأعرضوا

---

(٣٢) شرح المرشدى على عقود الجمان جـ ١ ص ٥٥ الطبعة ـ الثانية ، مكتبة مصطفى الحلبى

(٣٣) سورة البقرة آيه ٢٤٣

وهربوا خوفـــاً مـــن المـــوت فـــأراد ســـبحانه أن يبيـــن لـــهم أن المـــوت آت لا محالـــــة و انـــــه لا ملجـــأ إلا إلى الله تعـــالى فـــأراهم معجـــزة كـــبرى " المـــوت ثـــم الإحيـــاء " و قـــد صـــاغ هـــذا الحديـــث فـــي صـــــورة الأمر قائلاً "موتـــوا" و هـــذا أمـــر مجـــازي يفيـــد هيئـــه وقـــوع الحـــدث ، و أنـــه لســـــرعة وقوعـــه يـــرى جملتهم كأن واحـــد فقـــط مـــات .

و يوضـــح هـــذا المعنـــى الزمخشـــــري فيقـــول :" فـــإن قلـــت مـــا معنـــى قولـــه :" فقـــــال لـــــهم الله موتوا " قلت : معنـــــاه فأماتـــهم إنمـــا جـــيء بـــه علـــى هـــذه العبـــارة ن للدلالـــة علـــى أنـــهم مـــــاتوا ميتـــــة رجل واحـــد بـــأمر الله و مشـــيئته .

و تلـــك ميتـــة خارجـــة عـــن العـــــادة ، فإنـــــهم أمروا بشـــــيء فـــامتثلوه امتثـــالاً مـــن غـــير إبـــاء و لا

توقف كقوله تعالى :" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (٣٤)

و قيل أيضاً " إنما أسند إلى الله تعالى تخويفاً و تهويلاً . و تقدر سرعة وقوع الفعل بتقدير قوة المميت ، والأمر بالفعل و هو رب العزة الذي إذا أشار لبت المخلوقات كلها " (٣٥)

إذاً . الفعل "موتوا " لم يرد سبحانه حقيقته ، و إنما يريد سرعة تكوينهم و أنه هو القادر على موتهم فوراً . فضلاً عن أن هؤلاء ليس في مقدورهم أن يستجيبوا لهذا أو أي أحد من الناس .

---

(٣٤) الكشاف جـ ١ ص ١٤٧

(٣٥) حاشية محيى الدين زاده " على تفسير البيضاوى " جـ ١ ص ٥٥

" الحـــــث و الزجـــــر "

قال تعـالى :" قـل ادع لنـا ربـك يبيـن لنـا مـا هي قـال إنـه يقـول إنـها بقـرة لا فـارض و لا بكـر عوان بين ذلـك فـافعلوا مـا تؤمـرون " (٣٦)

فـي هـذا النـص الكريـم يبيـن لنـا سـبحانه وتعـالى مـدى تعنـت بنـي إسـرائيل ، و عصيانـهم لسيدنا موسـى عليـه السـلام ، عندمـا أمرهـم بذبـح بقـرة ، فكـان ردهـم عليـه بالسـخرية منـه والاسـتهزاء بـه ، و سـألوه أن يكشـف لـهم عـن صفاتـها ، فقـال لـهم وسـط بيـن الكبـيرة و الصغـيرة ، و عندمـا كـثرت أسـألتهم ، وذاد تمردهم قـال لـهم : " فـافعلوا مـا تؤمـرون " فقولـه عليـه السـلام هـذا فيـه معنـى الزجـر عمـا هـم عليـه مـن التمـرد والعصـيان ، كمـا فيـه أيضاً معنى الحث علـى الامتثـال بمـا أمـر الله بـه .

---

(٣٦) سورة البقرة آية ٦٨

و في ذلك يقول أحد المفسرين : " هذا الأمر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال ، وزجرهم عن المراجعة ، و مع ذلك لم يقتنعوا به [٣٧] . و قيل أيضاً : " إن الأمر يدل على تأكيد الأمر السابق و التنبيه على ترك التعنت " . [٣٨] و الحق أن المتأمل في أسلوب الأمر "فافعلوا " يكتشف هذه المعاني من زجر قوم موسى عن عصيانهم ، و حثهم على تلبية دعوته ، والكف عن تعنتهم لأن هذا أمر الحق و سيدنا موسى عليه السلام ما هو إلا رسول من رب العزة .

---

(٣٧) إرشاد العقل السليم جـ ١ ص ١١١

(٣٨) حاشية الشهاب على البيضاوى جـ ١ ص ١٧٩

" النصـــــــح و الإرشـــــــاد "

١-قـــال تعـــالى : " و إذا قيـــل لـــهم اتبعـــوا مـــا أنـــزل الله قـــالوا بـــل نتبـــع مـــا ألفينـــا عليـــه آباءنـــا أولـــو كـــانوا آبـــاؤهم لا يعقلـــون شـــيئاً ولا يـــهتدون " (٣٩)

جـــاء هـــذا النـــص الكريـــم لتبكيـــت المشـــركين من العرب وإنكار مـــا هـــم عليـــه مـــن تقليـــد آبائـــهم فـــي عبـــادة الأصنـــام و الأوثـــان ، لأنـــه كـــان إذا وجـــه إليـــهم المؤمنـــون الدعـــوة للدخـــول فـــي الإسلام تولـــوا و قـــالوا إن طريقنـــا مـــا وجدنـــا عليـــه آباءنـــا .

يقـــول أحـــد المفســـرين : " فـــي قولـــه : " وإذا قيل لهم اتبعـــوا مـــا أنـــزل الله " التفـــات إلـــى الغيبـــة ، و بيانـــاً بإيجـــاب تعـــداد مـــا ذكـــر مـــن جنـــاتهم ، بصـــرف الخطـــاب عنـــهم وتوجيهـــه إلـــى العقـــلاء ،

---

(٣٩) سورة البقرة آيه ١٧٠

وتفصيل مساوئ أحوالهم على نهج المباثة أي إذا قيل على وجه النصيحة و الإرشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزله " (٤٠)

فهذا الأمر الموجه إلى المشركين من قبل المؤمنين "اتبعوا" خرج إلى معنى بلاغي "النصح و الإرشاد " و قد بقصد بالأمر حقيقته .لأن إتباع ما أنزل الله أمر واجب على الجميع تحقيقه .

٢-قال تعالى :" واستشهدوا شاهدين من رجالكم " (٤١)

وردت هذه العبارة الكريمة في آية قرآنية طويلة وذلك للحديث عن الرهن وكتابته ، والشهادة عليه و قد وجه سبحانه وتعالى هذا الخطاب إلى كل من يسلك طريق الرهن إلا أن

---

(٤٠)إرشاد العقل السليم جـ ١ ص ١٨٨

(٤١) سورة البقرة آيه ٢٨٢

الأمـــر " استشـــهدوا " خـــرج إلـــى معنـــــى "النصـــح والإرشـــاد " ، وأيـــد هـــذا المعنـــى " الســـيوطي"(٤٢)

فقـــال فـــي قولـــــه: " واستشـــــهدوا " الأمـــــر للإرشـــاد. وأســـلوب النصـــح والإرشـــاد و التوجيـــــه ، جاء فـــــي القـــرآن الكريـــم كثـــيراً ، لمـــن يعـــي ومـــن يعقـــل .

" الإبـــــاحـــــــة"

قـــــال تعـــالى : " .....فـــــالآن باشـــــروهن وابتغـــوا مـــا كتـــب الله لكـــم و كلـــوا واشـــربوا حتـــــى يتبين لكـــم الخيـــط الأســـود مـــن الخيـــط الأبيـــض مـــن الفجر ثـــم أتمـــوا الصيـــام إلـــى الليـــل و لا تباشـــروهن وأنتـــم عـــاكفون فـــي المســـاجد..... " (٤٣)

عندمـــا توهـــم المخـــاطبون حرمـــة إتيـــان هـــــذه الأفعـــال "المباشـــرة ، والأكـــل والشـــرب " فـــي ليـــــالي

---

(٤٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢٨ ص ١٠٥ مطبعة مصطفى الحلبى

(٤٣) من البقرة آيه ١٨٧

رمضان تقديساً لهذا الشهر الكريم ، أراد سبحانه أن يبين لهم عكس توهمهم وأن هذه الأفعال مباحة ، فيجوز لهم على سبيل الإباحة و ليس على وجه الإلزام مباشرة النساء ، والأكل و الشرب في ليالي رمضان حتى طلوع الفجر ، وذلك تيسيراً على عباده المؤمنين

قال الآلوسي : " قوله :" وكلوا واشربوا " على جواز الأكل و الشرب مثلاً لمن شك في طلوع الفجر لأنه تعالى أباح ما أباح معنى نتبينه ولا يتبين مع الشك . (٤٤)

و قيل أيضاً : " أشار به على أنه متفرع على أحل لكم .....الخ

فالأمر للإباحة لأنه بعد التحريم و هو توطئه لما بعده " مما جاء على هذا النمط "

---

(٤٤) روح المعاني جـ ١ ص٤٦٢ ، ٤٦٣ " بتصرف "

معنى الإباحة " في تلك السورة [٤٥] الكريمة كثير من الآيات و إليك على سبيل المثال و ليس على سبيل الحصر ، قوله تعالى : " و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " [٤٦]

و قال تعالى :" و ظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن و السلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ....." [٤٧] .

وهكذا فقس على ما سبق .

---

(٤٥) حاشية زادة جـ ٢ ص ٢٨١ بتصرف

(٤٦) سورة البقرة آية ٣٥

(٤٧) سورة البقرة آيه ٥٧ ، وأيضا أنظر آيه رقم ١٧٣

" التهديد و التخويف "

قال تعالى : " فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله و إن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " (٤٨) .

سبق هذه الآية حديث الربا ، و التحذير منه و بيان مغبته ، ومضاره ، في هذا النص يبين سبحانه أشد العقوبة لمن خالف أمر الله من التعامل بالربا و أكل أموال الناس بالباطل فيخاطب هؤلاء بأن مخالفتهم لتوجيهات القرآن فيه عذاب كبير لا قبل لهم به و هو وقوع حرب من الله و رسوله حيث خاطبهم جلت قدرته بقوله " فأذنوا " و هذا الفعل لم يرد به حقيقته الأمر من الإلزام بوقوعه، ولكن أراد تهديد هؤلاء وتحذيرهم . يقول أحد المفسرين : " ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله و لم يجيء هذا الوعيد في كبيرة

---

(٤٨) سورة البقرة آيه ٢٧٩.

سوى الربا ، و قطع الطريق و السعي في الأرض بالفساد " (٤٩)

ويقول الآلوسي : " قوله :" فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله " أي إن لم تفعلوا ما أمرتم به من الاتقاء وترك البغايا ، إما مع إنكار حرمته ، وإما مع الاعتراف فأيقنوا بحرب وهو كحرب المرتدين على الأول، و كحرب البغاة على الثاني ، و قيل لا حرب حقيقة و إنما هو تهديد وتخويف " (٥٠)

والسياق العام يشهد لهذا المعنى ، إذ كيف يصح أن يوجه الله أمره إليهم بوقوع الحرب منه و من رسوله ، إنه لا يريد ذلك ، إنما يريد تهديدهم و وعيدهم بأشد العقاب ذلك أن الذين يعصون أمر الله هم الذين يتعاملون

---

(٤٩) التفسير القيم لابن القيم الجوزية ص ١٧٢ ، ق محمد حامد الفقي ، بيروت ، لبنان ، روح المعاني جـ ٢ ص ٥٢

(٥٠) روح المعاني جـ ٢ ص ٥٢

بالربا ، وان المطيعين لأمره تعالى هم لبوا دعوته فكان جزاؤه سبحانه ثواب المطيع وعقاب المرابي عن طريق تهديده و تخويفه .

المسارعة إلى الإمتثال

وقوع الخبر موقع الأمر

قال تعالى : " و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاث قروء و لا يحل لهم أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهم إن كن يؤمن بالله و اليوم الأخر ..... "(٥١)

في هذا النص الكريم ، يتحدث سبحانه عن النكاح و الطلاق و أحكامهما الشرعية فيبين جلت قدرته عدة المطلق بأنها ثلاث قروء و قد صاغ ذلك في صورة خبرية ولم يأتي بفعل الأمر مباشرة فيقول مثلاً : " لتتربص المطلقات بأنفسهن " و السر البلاغي

---

(٥١) سورة البقرة آيه رقم ٢٢٨

في التعبير بالخبرية عن الأمر به هو ما ذكره ، صاحب الكشاف قائلاً : " فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص "قلت " هو خبر في معنى الأمر

وأصل الكلام ولتتربص المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد الأمر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عن موجود " (٥٢)

و بالتالي يقال : إن خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، في هذه الآية الكريمة له فائدته البلاغية في توكيد الفعل و وقوعه ، و إنه ما يجب المبادرة إلى حدوثه حتى كأنهن امتثلن الفعل ، فوقع منهن فهو يخبر عن حدث واقع . وقد أيد هذا المعنى و وافق عليه جمع

---

(٥٢) الكشاف جـ ١ / ١٣٧

من علماء البلاغة مثل " ابن القيم " (٥٣) ، " الجرجاني " (٥٤) ، " الأنباري " (٥٥) وغيرهم .

و ما جاء على هذا النمط .

٢-قوله تعالى : " و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ..... " (٥٦)

٣-و قوله تعالى " و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشرا..... (٥٧)

في هاتين الآيتين لم يصغ سبحانه المعنى في صورة الخطاب بفعل الأمر فيقول : "

---

(٥٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ٣٤

(٥٤) الإرشادات والتنبيهات فى علم البلاغة للجرجانى ص ١٢٠

(٥٥) البيان فى غريب القرآن جـ ١ ص ١٥٦

(٥٦) سورة البقرة آيه ٢٣٣

(٥٧) سورة البقرة آيه ٢٣٤

لـترضع الوالـــدات أولادهـــن " وليـــتربصن الأزواج بأنفســـهن ..... " (٥٨)

و إنمـا صاغـه جلـت قدرتـــه فـــي صـــورة خبرية ، و ذلـــك تـأكيداً للمعنـى و عنايـة بـه وبياناً لأهميته ، حتى كأنـــه لسـرعة طلـب وقوعـه،

قـد وقـع فـأخبر عنـــه بالخبريـــة . وهكـــذا فقس على مـــا ســبق .

" الدعـاء و الضراعـــة "

هـذا المعنـى ورد كثـيرا فـي القـرآن الكريـم ، ولا يقصد بـــه حقيقتـه .

" الاســتعلاء و الإلــزام " فــلا أمـــر لأحـــد إلا الله ســبحانه وتعـالى . و إنمـا هـو معنـي مجـــازي يعـبر عـن شـعور المخـــاطبين ، وحاجتـــهم إلـــى النصـرة

---

(٥٨) سورة البقرة آيه ٢٣٤

من الله جلت قدرته ، و التجائهم إليه ، وتقوية أنفسهم بقدرته التي لا قدرة فوقها أو بعلمه الذي لا علم بعده ، فسبحانه يعلم السر وأخفى و الأساليب الأمرية التي جاءت في سورة البقرة من هذا النوع " الدعاء " كثيرة . وسنذكر منها على سبيل المثال لا سبيل الحصر.

١- قوله تعالى : " و لما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين " (٥٩)

هذه الآية الكريمة تتحدث عن فئة قليلة مؤمنة من بني إسرائيل دعوا الله متضرعين إليه أن ينصرهم على أعدائهم " العمالقة قوم جالوت"

---

(٥٩) سورة البقرة آيه ٢٥٠

فاستجاب سبحانه لدعائهم لأنهم ثبتوا وصبروا فنصرهم جلت قدرته على أعدائهم .

و في ذلك يقول أحد المفسرين : " في هذا النص الكريم، التجاء إلى الله بالدعاء و فيه ترتيب بليغ ، إذ سألوا أولاً ، أفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ، ثم النصر على العدو المترتب عليها جميعاً " . (٦٠)

ومما جاء على هذا النمط آيات كثيرة في سورة البقرة سنذكر بعض منها .

٢- قال تعالى : " و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله و اليوم الأخر .....

---

(٦٠) حاشية زاده " على البيضاوى "جـ ١ ص ٦٩٥

" وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"

" ربنا واجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم " .

" ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ..."(٦١)

٣- قال تعالى : " و منهم من يقول ربنا أتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار " (٦٢)

٤- قال تعالى : " ..... ربنا ولا تحملنا ما لنا طاقة به واعف عنا و اغفر لنا

---

(٦١) سورة البقرة ظربات ١٢٦، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

(٦٢) سورة البقرة آيه ٢٠١

و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " (٦٣)

فالأمر في قوله " اجعل، و ارزق ،و تقبل ،و أرنا مناسكنا، وتب علينا ،وارحمنا ، وانصرنا، " .

قد خرج عن معنى الدعاء من المخاطب إلى المخاطب .

فهي أساليب لا يقصد بها حقيقة الأمر لأنها خطاب من الأدنى إلى الأعلى ، فضلا عن كونها تعبيراً عن مشاعر المخاطبين . حيث تجد في تلك الأساليب الأمرية ، ابتهالا وتلهفا ، و تشوقا إلى معونة الخالق ، ومؤازرة الداعي ، وتحقيق أمانيهم .

---

(٦٣) سورة البقرة آيه ٢٨٦

" المصـــــــادر و المراجـــــــع "

أولاً : القـــــرآن الكريـــــــم .

ثانيـــاً : الإشـــارات و التنبيـــــهات فـــي علـــم البلاغة ، تصنيف محمـــد بـــن محمـــد

الجـــرجـــــــاني " ت ٧٢٩هـــــــ " ق ، د/ عبد القادر حســـين ، طبـــع و نشـــر

مكتبـــــة الآداب .

ثالثـــاً : الإتقـــان فـــى علـــوم القـــرآن تـــــأليف ، جـــلال الديـــن الســـيوطي " ٩١١ه"

مطبعـــة مصطفـــي البـــابي الحلبـــي .

رابعـــاً : إرشـــاد العقـــل الســـليم إلـــى مزايـــا الكتاب الكريـــم ، تـــأليف القـــاضي

أبـــي الســـعود بـــن محمـــد الحنفـــــي ، ق ، عبد القادر أحمـــد عطـــا ، مكتبـــة

الريـــاض الحديثـــة

خامسًـــا: البيـــان فـــي غريـــب إعـــراب القـــرآن ، تأليف أبـــو البركـــات الأنبـــاري

ق ، د/ طـــه عبـــد الحميـــد طـــــه ، مراجعة مصطفـــى الســـقا ، طبعـــة

الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتـــاب .

سادســاً : البحـــر المحيـــط ، تـــأليف محمـــد بـــن يوسف على بـــن حيـــان الأندلســـي

الغرنـــــاطي " ٦٥٤- ٧٥٤هـ " الناشـــــر ، مكتبـــة ومطـــابع النصـــر الحديثـــة

ســـابعاً : البلاغـــة أسســـها و علومـــها ، تـــأليف عبـــد الرحمـــن حســـن الميـــدان ، طبـــع دار القلـــم .

ثامنـــاً: التفســـير القيـــم لابـــن القيـــم الجوزيـــــة ، ق ، محمد حامد الفقـــي طبعـــة . بـــيروت لبنـــات

تاســعاً : جـــامع البيـــان ، فـــى تـــأويل آي القـــرآن ، لأبـــي جعفـــر بـــن جريـــر الطـــبري ق / محمـــد أحمـــد شـــاكر ، الطبعـــة الثانيـــة، دار المعـــارف بمصـــر .

عاشـــراً:حاشـــية محـــي الديـــن زاده علـــى تفســـير الإمـــام البيضـــاوي طبـــع المكتبـــة الإســـلامية لصاحبها محمد أزد أمـــير ديـــار بكـــر تركيـــا.

١١- روح المعـــاني فـــي تفســـير القـــرآن العظيـــم و الســـبع المثـــاني ، ت ، العلامـــة أبـــي الفضـــل شـــهاب الديـــن الســـيد محمـــود الآلوســـي البغـــدادي " ت ١١٢٧هـــ" ضبطـــه / علـــي عبـــد البـــاري عطيـــة ، دار الكتـــب العلميـــة ، بـــيروت لبنـــان .

١٢- شرح المرشدي علي عقود الجمان للسيوطي ، الطبعة الثانية مكتبة مصطفى الحلبي .

١٣-عناية القاضي و كفاية الراضي " حاشية على تفسير البيضاوي " لشهاب الدين الخفاجي دار صادر بيروت لبنان .

١٤- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية " ت ٧٥١هـ " الناشر . مكتبة المتنبي القاهرة .

١٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي طبع ، دار المعرفة بيروت لبنان .

١٦- المطول للسعد التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني مطبعة أحمد كامل .

١٧- متشابه القرآن ت ، القاضي عبد الجبار ، د/ عدنان محمد زرزور ، طبع دار التراث القاهرة .

١٨- مفاتيح الغيب ، " التفسير الكبير " ت ، محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الفكر العربي ، بيروت- لبنان .